

## دلالة التقديم والتأخير في السياق القرآني "سورة هود نموذجاً"

م.د. أمانة بادع كريم\*

### ملخص البحث

يُعدّ التقديم والتأخير من أبرز الأساليب البلاغية المهمّة في القرآن الكريم، حيث يُسهم في إبراز المعاني وتأكيدّها، وإحداث تأثير نفسي ولغوي في المتلقّي. ويُعدّ التقديم والتأخير وسيلةً لتحقيق أغراض دلاليّة مثل: التخصيص، والتوكيد، والتشويق، والاهتمام بالمقدّم.

في سورة هود، نجد كثيرًا من المواضع التي استعمل فيها القرآن الكريم هذا الأسلوب ببلاغة فائقة، ممّا يُثري المعاني ويُعزّز التأثير. ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: "وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا" (هود: ٥٠)، حيث قدّم الجارّ والمجرور "إلى عادٍ" على المفعول به "أخاهم هودًا"، لإبراز العلاقة الوثيقة بين النبي هود وقومه، وللإشارة إلى أنّ رسالته كانت موجهة لهم خصيصًا.

كذلك في الآية: "فَأَسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَأَسْتَغْفِرُوهُ" (هود: ١١٢)، قدّم "إليه" على "واستغفروه" للدلالة على أولوية الاستقامة على طلب المغفرة، إذ لا يستقيم الإيمان من دون طاعة.

يتبنى الدراسة سورة هود أنّ التقديم والتأخير ليس مجرد تغيير في ترتيب الكلمات، بل هو أسلوب بلاغيّ يهدف إلى تحقيق مهامّ دقيقة، وتعميق الأثر في القارئ نفسه، وهو ما يُبرز جماليات القرآن الكريم ودقّة أسلوبه.

لذلك يتضمّن البحث دراسةً نحويّةً تحليليّةً من منظور دلاليّ، في أعقاب استعراض القضية وربطها بمواقف النحاة والبلاغيين على امتداد العصور، ثم الوقوف على أوجه الاتفاق والاختلاف بين تلك الآراء، بغية الوصول إلى تفسير جيّد لها.

aminakareem63@gmail.com

(\*) مديرة تربية ذي قار \ ثانوية المتفوقات الأولى في  
الناصرية.

وقد تضمّنت الدراسة مبحثين تسبقهما توطئة، وتتلوهما خاتمة، وكان المبحث الأول بعنوان: "تقديم الخبر"، أما المبحث الثاني فقد جاء بعنوان: "تقديم المفعول به"، مع عرض للمصادر، وانتهى البحث بالخاتمة التي لخص فيها أهم ما توصل إليه البحث.

الكلمات المفتاحية: دلالة - التقديم - والتأخير - القرآن الكريم

### توطئة

تناول النحاة في كتبهم مسألة التقديم والتأخير، وأشاروا إلى مواضع يكون فيها التقديم واجباً أو مقبولاً في جميع المواضع التي وردت فيها هذه الظاهرة. غير أن آراءهم في ذلك قد تباينت بشكل كبير، نتيجة لغياب قواعد منهجية ضابطة تنظم هذه القضايا؛ فما اعتُبر تقديماً واجباً عند بعضهم، نجد لدى آخرين من كلام العرب شواهد تنقض هذا الرأي.

ويعكس هذا التفاوت في الرؤية أهمية هذا المبحث ودقته البالغة.

وقد عبّر عبد القاهر الجرجاني عن ذلك بقوله:

"هو بابٌ كثيرُ الفوائد، غنيٌّ بالمحاسن، واسعٌ في إمكانيات التعبير، لا يكف عن أن يفتح لك آفاقاً جديدةً من المعاني، ويقودك إلى لطائف خفية، لا تفتأ تتأمل بيتاً من الشعر فتعجب بإيقاعه ويأسرك معناه، ثم تكتشف أن سرّ هذا الجمال يكمن في تقديم كلمة أو تأخيرها، وتحويل اللفظ من موضع إلى آخر." (الجرجاني، د.ت، ص ١٠٦).

يعدّ بابُ التقديم والتأخير ملمحاً بلاغياً بارزاً في اللغة العربية، يُظهر قدرتها الفائقة على التعبير عن أبعاد دلالية مستحدثة من خلال تغيير ترتيب العناصر داخل الجملة؛ إذ يتمّ تقديم ما الأصل فيه التأخير، أو تأخير ما يُتوقّع تقديمه، سواء في الجملة الاسمية - كالمبتدأ والخبر - أو في الجملة الفعلية - كالفعل والفاعل والمفعول - أو في المتعلقات الخاصة بها.

وقد أشار الزركشي إلى هذا البعد البلاغيّ، قائلاً:

"إنه أحد أساليب البلاغة، إذ استخدمه البلغاء دلالةً على تمكّنهم من الفصاحة، وقدرتهم على تطويع الكلام بما يتماشى مع مقتضى الحال، وله في النفس وقعٌ جميل، ومذاقٌ عذب." (الزركشي، د.ت، ص ٢٣٣١٣).

وقد أشار العلماء إلى أهمية التقديم والتأخير، لما فيه من دلالة واضحة على إدراك العربي لأثر الترتيب في

إبراز المعنى، وحرصه الشديد على انتقاء ألفاظه بما يخدم الغرض المقصود.

فالتقديم والتأخير لا يُعدّ مجرد تزيين شكليّ أو تنويع أسلوبيّ فحسب، بل هو انعكاسٌ لاختلاف المعنى الذي يرغب المتكلم في إيصاله؛ إذ لا يكون الكلامُ البليغ معتمداً على التقديم لغرضٍ لفظيٍّ مجرد، بل يكون ذلك التقديم مقروناً بهدف دلاليٍّ يتصل بالمعنى، ويُعبّر عن دقّة في التعبير ووعيٍّ بمقتضى الحال. (فضل، ١٩٩٧، ص ٢١١).

وقد أشار القرطبي إلى أنّ التقديم في اللغة العربيّة يعود إلى جملةٍ من الأسباب، أبرزها: إظهار العناية والاهتمام؛ إذ جرت عادة العرب على تقديم ما يُعدّ أكثر أهميّةً في السياق الكلامي. ومن الأمثلة الدالّة على ذلك ما رُوِيَ عن أعرابيٍّ شتم آخر، فأثر المسبوب الإعراض عنه، فقال له الشاتم: "إياك أعني"، فردّ عليه الآخر قائلاً: "وعنك أعرض".

فقد عمد كلٌّ منهما إلى تقديم ما يراه أهمّ في موقفه، ليؤكّد المعنى الذي أراد التعبير عنه.

(القرطبي ٢٠٠٦، ص ١٤٥١).

وقد أنكر ابن الأثير على من حصّر وظيفة التقديم في الاختصاص فقط، مؤكّداً أنّ للتقديم وجهين في الاستعمال:

أولهما يهدف إلى الاختصاص بالفعل، وأمّا الآخر فيُراعى فيه جمال النظم وانسجام السياق، إذ إنّ بعض التراكيب لا تستقيم بلاغيّاً، ولا تُحدث الأثر المطلوب، إلّا إذا ورد التقديم فيها؛ فإذا أُخر ما قُدّم، فقد الكلامُ حُسْنَه وبلاغته.

ويُعدّ هذا الوجه - أي مراعاة النظم - أبلغ وأقوى تأثيراً من مجرد غرض الاختصاص. (بن الأثير، د.ت، ص ٣٩١٢).

أمّا الزركشي فقد بيّن أنّ للتقديم والتأخير أسباباً متعدّدة، من بينها ما يكون فيه التقديم هو الأصل، دون وجود مُقتضٍ يدعو إلى العدول عنه، كحال تقديم المبتدأ على الخبر. وقد يُلجأ إلى التقديم أيضاً إذا كان في التأخير ما يُخلّ بوضوح المعنى أو يُضعف التناسب اللفظي، فيُقدّم اللفظ مراعاةً للانسجام الأسلوبي، أو مراعاة الفاصلة، أو لما في اللفظ من عظمةٍ وأهميّةٍ تستدعي تقديمه وقد يكون التقديم بغرض إظهار التعجب من حال المذكور، أو لتحقيق غرض الاختصاص، وهو السبب الأكثر شيوعاً في هذا الباب. (الزركشي، د.ت، ص ٢٣٣١٣-٢٣٤).

ويُشدد عبد القاهر الجرجاني على أهمية التقديم والتأخير في جميع المواضع، ويرى أن من الخطأ قصر فاعليته على مواقف معينة من دون غيرها؛ فقد رأى: "أن نسبته أحياناً إلى العناية بالمعنى، وأحياناً أخرى إلى اعتبارات شكلية كالتوسعة في النظم أو استقامة القافية والسجع، لا تكفي لتفسير حضوره. ويؤكد أن التقديم والتأخير لا ينبغي أن يُنظر إليه كمجرد حيلة أسلوبية ظرفية، بل كعنصر دلالي دائم الحضور. فإذا ثبت أن لتقديم المفعول - على سبيل المثال - فائدة معنوية لا تتحقق عند تأخيره في كثير من التراكيب، فإن هذه الفائدة تصبح قاعدة عامة تسري على جميع السياقات المشابهة، لا استثناء فيها." (الجرجاني، د.ت، ص ١١٠).

رأى تمام حسان أن معالجة التقديم والتأخير من منظور بلاغي تكون في إطار الرتبة غير الثابتة نحوياً، أي في المواضع التي لا تلتزم ترتيباً نحوياً صارماً. ومن أبرز هذه المواضع: ترتيب المبتدأ والخبر، والفاعل والمفعول به، والفاعل مع التمييز بعد "نعم"، بالإضافة إلى مواضع الحال مع الفعل المتصرف، وكذلك ترتيب المفعول به مع الفعل. فهذه التراكيب تُتيح مساحةً للتقديم والتأخير، تُستثمر بلاغياً للتعبير عن معانٍ ودلالات إضافية لا تتوفر عند الالتزام بالرتبة الأصلية.

(تمام، ١٩٩٤، ص ٢٠٧).

وقد أشار عبد العزيز عتيق إلى الأهمية البالغة لأسلوب التقديم والتأخير، وأثرها في تشكيل البنية الفهمية للنص، مؤكداً أن هذا الأسلوب يشمل جميع أنواع الكلام، ولا يخرج عنه أي تركيب. "ويرى أن تقديم جزء من الجملة أو تأخيره لا يحدث عشوائياً، بل هو إجراء مقصود تملية أغراض بلاغية محددة. ونبه إلى أن الدافع البلاغي الذي يفضي إلى تقديم أحد عناصر الكلام، هو ذاته الذي يُجتم تأخير العنصر الآخر، إذ إن العلاقة بين التقديم والتأخير علاقة تبادلية تُحددها مقتضيات المعنى والسياق." (عبد العزيز، ١٩٨٥، ص ١٤٩).

ومما سبق يتبين أن التقديم والتأخير حين يُستعملان في الكلام لا يكونان مجرد تبديل في الترتيب، بل يحملان دلالات إضافية تُثري المعنى الأصلي للجملة، وتكشف عن أهمية هذا الأسلوب. عندما تُقدم كلمة وتؤخر أخرى في بنية الجملة، فإن الجملة تكتسب دلالة جديدة، رغم محافظتها على معناها الأصلي. غير أن هذا التغيير يُحدث تحولاً دلالياً ناتجاً عن التركيز البلاغي على المفردة المقدمة، مما يمنحها مزيداً من العناية والاهتمام، في حين يتراجع التركيز عن المفردة التي تأخرت، رغم امتلاكها القدر نفسه من الأهمية. وهكذا تتوزع الدلالة في الجملة بما يتناسب مع الغرض البلاغي، فيبرز الجزء المقدم على نحوٍ أوضح بفضل هذا الترتيب المقصود.

سأتناول موضوع التقديم والتأخير في سورة هود، تلك السورة التي وإن شئت النبي (صلى الله عليه وسلم) تحمل في طياتها الحسن والبهجة، وتستر بباطنها السكون والراحة، ويحل في أعماقها ضوءٌ جليّ ودليلٌ

قاطع. يقول أبو بكر (رضي الله عنه): ((يا رسول الله، قد شبت)) قال: «شيبتي هود، والواقعة، والمرسلات، [عم يتساءلون]، [وإذا الشمس كورت] (القرطبي، ٢٠٠٦، ص ٦٢١١)، وفي حديث آخر ورد: يا رسول الله قد شبت قيل: ((شيبتي هو وأخواتها)) (القرطبي، ٢٠٠٦، ص ٦٣١١). وقد قيل عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) قوله: «تلاوة سورة هود يوم الجمعة».

(القرطبي، ٢٠٠٦، ص ٦٢١١). إن هذه السورة مكيّة في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر، قال ابن عباس: إلا آيةً، وهي قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضٌ مَّا يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾. [هود: ١٢] (ابن حيان، ١٩٩٣، ص ٢٠١٥).

وقد تضمن البحث مبحثين تسبقهما توطئة، وتتلوهما خاتمة. وجاء المبحث الأول بعنوان: تقديم الخبر، أمّا المبحث الثاني فقد جاء بعنوان: تقديم المفعول به. وانتهى البحث بالخاتمة التي خصّ فيها أهمّ ما توصل إليه البحث.

## المبحث الأول

### تقديم الخبر

تبين ممّا سبق أن للتقديم أهمية كبيرة في كلّ موضع يُقدّر فيه المتكلم أو الكاتب ضرورة تقديم عنصرٍ معيّن في الجملة.

فمن الطبيعي أن يبدأ المتكلم بالمتبدأ؛ لأنّه يتدّى الحديث بتسمية الشيء، ثمّ يتبع ذلك بالإخبار عنه. ومع ذلك، قد تقتضي بعض المقاصد البلاغية أو المعنوية، كالأهميّة أو الاختصاص، تقديم الخبر على المتبدأ. ويُشترط حينها أن يؤدّي هذا التقديم وظيفة دلاليّة توضّح المقصود وتزيل الغموض عن موضوع الجملة. وقد أشار ابن مالك إلى ذلك بقوله: "إنّ الأصل تأخير الخبر وتقديم المتبدأ، لأنّ الخبر من حيث المعنى يُعدّ وصفًا للمتبدأ، شأنه في ذلك شأن الصفات التي تتبع الموصوف، غير أنّ التقديم جائز ما دام لا يؤدّي إلى لبس أو غموض في المعنى." (بن عقيل، ١٩٨٥، ٢٢٧١).

تتسم العلاقة بين المتبدأ والخبر بترابط وثيق من حيث الترتيب النحوي، إلا أن هذا الترابط قد ينفك أحياناً نتيجة احتياج المتكلم إلى تشكيلات لغوية جديدة تُعبّر عن دلالات ومعانٍ مستحدثة، يرغب في إيصالها للمتلقّي وفق ما يجول في ذهنه من مقاصد. ومن هنا، فإن التغيير في ترتيب عناصر الجملة لا يكون عفويّاً،

بل ينتج عنه بالضرورة تحوّل في المعنى. وقد أشار محمد عبد المطلب إلى هذا المعنى بقوله: "إن أيّ تعيّر في النّظام التّركيبيّ للجملة يترتّب عليه بالضرورة تعيّر الدلالة وانتقالها من مستوى إلى مستوى آخر." (عبد المطلب، ١٩٩٤، ص ٣٣١).

وقد بيّن خليل عمّارة مدى أهمية أسلوب التقديم والتأخير، مشيراً إلى أنه ورد بكثرة في كلام العرب ونصوصهم الشعرية، إلى جانب وروده في أرقى نص لغوي وهو القرآن الكريم. وقد تنوّعت صور هذا التقديم، فشملت تقديم المفعول به على الفاعل، أو على كلّ من الفاعل والفعل، وورد تقديم شبه الجملة على الفعل والفاعل، وكذلك تقديم الخبر على المبتدأ، وتقديم ما يُعرف بالفضلات ضمن حدود معينة بيّنها النحاة. وأكّد عمّارة أن هذه الأساليب في التقديم لا تأتي عبثاً، بل تقف خلفها مقاصد دلالية تتعلق بالمعنى المراد إيصاله. (خليل، ١٩٨٤، ص ٩١).

- وقد ورد الخبر شبه جملة، سواء أكان ظرفاً أم جاراً ومجروراً، متقدّماً في سورة هود في مواضع متعددة منها:

- الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٤﴾ [هود: ٤]

فالدافع من تقديم الخبر شبه الجملة "إلى الله" وتأخير المبتدأ "مرجعكم" هو الاهتمام والتأكيد على مسألة الرجوع بعد الموت، ذلك لأنهم لا يعتقدون أنهم سيُعادون إلى الله بعد موتهم، بل يتصورون أن مصيرهم سيكون إلى غيره. (بن عاشور، ١٩٩٤، ص ٣١٩١١).

- الآية الثانية:

قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ٦﴾ [هود: ٦]

إن تقديم "على الله" على ما يتعلّق به وهو "رزقها" جاء ليؤكّد معنى الحصر، أي أن الله وحده - دون سواه - هو المسؤول عن رزقها. ويُفهم من تركيب "على الله رزقها" أن الله قد تكفّل برزقها وأحاطه بعنايته، فلم يُهمَل أو يُترك. (عبد العظيم، ٢٠٠٥، ص ٤٢٤).

- الآية الثالثة:

قوله تعالى: ﴿إِلَّا لَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [هود: ١١]

فقد قُدم الخبر "هم" على المبتدأ "مغفرة" للاهتمام بأمر أولئك الموصوفين بالصفات الحميدة؛ فلهم مغفرةً لذنوبهم، وأجرٌ كبيرٌ في الآخرة، وهو الجنة. (محمد، ١٩٨١، ص ٨١٢).

- الآية الرابعة:

قوله تعالى: ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ٣١]

ففي هذه الآية المباركة، جاء تقديم الخبر "عندي" على "خزائن الله" لإفادة معنى الاختصاص؛ أي اختصاص الله بها.

(بن عاشور، ١٩٨٤، ص ٥٧١٢).

- الآية الخامسة:

قوله تعالى: ﴿وَأِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يُقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنِّ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنَّا نَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ [هود: ٥٠]

الدافع من تقديم الخبر "لكم" على المبتدأ "إله" هو إفادة اختصاص العبادة لله وحده، من دون عبادة الآلهة والأوثان.

(النسفي، ١٩٩٨، ص ٦٦١٢).

- الآية السادسة:

قوله تعالى: ﴿وَأَمْرًا أَنَّهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكْتُمْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١]

فالدافع من تقديم الخبر "ومن وراء" على المبتدأ "يعقوب" هو شدة الاهتمام بالبشارة التي بشرت بها الملائكة امرأة إبراهيم بإسحاق ولدًا لها، ويأتيه مولود هو يعقوب، ابنًا لولدها. (الطبرسي، ٥، ٦، ٢٣٤١٢٠٠٦).

- الآية السابعة:

قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ سَفَوْا فَنَارَ لَهْمَ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهيقٌ ﴾ [هود: ١٠٦]

تمّ تقديم الخبر "فيها" لتحقيق معنى الحصر، أي أن الزفير والشهيق لا يكونان إلا في جهنم وحدها، وذلك بما يتناسب مع سياق الاستطراد الذي يهدف إلى تعظيم فظاعة ذلك اليوم. وقد حُصِّت جهنم بذكر الزفير والشهيق لما في تصوير هذين المشهدين من إذلال وإهانة للكافرين، إذ إن هذا النوع من التشويه أشدّ وقعا على النفس، وأقوى في إثارة الخوف من مجرد الإحساس بالألم الجسدي. (ابن عاشور، ١٩٩٤، ص ١٦٥/١٢).

- الآية الثامنة:

قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَوِّلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [هود: ١٢٣]

فالدافع من تقديم الخبر "الله" على المبتدأ "غيب" هو إفادة القصر، حيث قُصِرَ علم الغيب ورجوع الأمر كله عليه وحده سبحانه. (عبد العظيم، ٢٠٠٥، ص ٤٢٤).

وورد كذلك في سورة هود شواهد على تقديم الخبر في حال كونه وصفاً منها:

- الآية الأولى:

قوله تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ أَفَنزَلْنَاهُ فُلًا إِنْ أَفْتَرَيْتَهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرُمُونَ ﴾ [هود: ٣٥]

فقد قُدِّمَ الخبر "علي" على المبتدأ "إجرامي" لإفادة القصر؛ أي إن قول النبي محمد ﷺ للقوم الكافرين: إن كان هناك إثم أو جرم، فهو عليّ وحدي، لا عليكم، فلماذا تُكثرون من الاتهام والافتراء، وكأنكم أنتم من سيتحمّل عاقبته أو مُحاسبون عليه؟ (ابن عاشور، ١٩٩٤، ص ٦٤/١٢).

- الآية الثانية:

قوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرْآنَ وَهِيَ ظَلِيمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ [هود: ١٠٢]

تمّ تقديم الخبر "كذلك" على المبتدأ "أخذ ربك"، إذ الأصل في التركيب أن يُقال: "وأخذ ربك كذلك"، لكن قُدِّمَ الخبر قصداً لجذب الانتباه إلى ما سبق ذكره من قصص الأمم الغابرة، حتى تكون حاضرة في ذهن السامع، ممّا يُعزّز التأثير ويُعمّق العبرة المستخلصة منها. (عبد العظيم، ٢٠٠٥، ص ٤٢٩).

## المبحث الثاني

### تقديم المفعول به

من صور التقديم الواردة في الجملة الفعلية: تقدّم الفاعل أحياناً على فعله، أو تقدّم المفعول به أحياناً على الفاعل، وأحياناً أخرى على كل من الفعل والفاعل. وفي هذا الموضوع، سأتناول حالة تقديم المفعول به، وهو الاسم الذي يقع عليه أثر الفعل الصادر من الفاعل، ويُعدّ من المكملات المنصوبة في الجملة؛ ولذلك أباح بعض النحويين حذفه. وقد بيّنه ابن هشام بقوله: "هو ما وقع عليه فعل الفاعل"، وفي المثال: "ضربتُ زيداً". (جمال الدين ٢٠٠١، ص ٢٨٣).

الأصل في تركيب الجملة أن ينفصل المفعول عن الفعل، بحيث يتأخر عن الفاعل، ويأتي ترتيب الجملة بشكل عام على النحو التالي: "الفعل، الفاعل، المفعول به". لكن في بعض الأحيان، قد يأتي الترتيب مخالفاً لهذا الأصل، حيث يتقدّم المفعول على الفاعل في بعض الجمل، أو على الفعل والفاعل في حالاتٍ أخرى. وقد ذكر ابن مالك في هذا السياق: "الأصل في الفاعل أن يتصل، والأصل في المفعول أن ينفصل، ولكن قد يأتي المفعول قبل الفعل خلافاً للأصل". (ابن عقيل، ١٩٨٥، ص ٩٦٢).

تناول النحويون في باب تقديم المفعول الحالات التي يكون فيها التقديم واجباً، وفي حال كان المفعول اسم شرط، مثل: "أبياً تَضْرِبُ أَضْرَبُ"، أو اسم استفهام، مثل: "أَيُّ رَجُلٍ صَرَبْتِ؟"، أو ضميراً منفصلاً، إذ لو تأخر المفعول لكان لا بد من اتصاله، وفي قوله: "إِيَّاكَ نَعْبُدُ"، فلو أخرج المفعول لوجب الاتصال، ويصبح التعبير: "نَعْبُدُكَ". (ابن عقيل، ١٩٨٥، ص ٩٧٢).

وأن هناك حالات يكون فيها التقديم جائزاً، مثل قولنا: "صَرَبَ زَيْدٌ عَمْرًا"، حيث يمكن أن نقول أيضاً: "عَمْرًا صَرَبَ زَيْدٌ"، فيكون التقديم هنا متاحاً ولا يسبب لبساً أو تغييراً في المعنى (ابن عقيل، ١٩٨٥، ص ٩٨١٢). يجوز تقديم المفعول به أو تأخيره وفقاً لاعتبارات بلاغية أو معنوية، سواء كان التقديم على الفعل والفاعل معاً أو على الفاعل فقط. وينطبق الأمر نفسه على الأفعال المتعدية إلى مفعولين، حيث يمكن تقديم المفعول الثاني على المفعول الأول، أو تقديم المفعول الأول على الفعل والفاعل.

من هنا يتضح أن تقديم المفعول أو تأخيره يحمل دلالات، أبرزها أن المتحدث قد منح المفعول أهمية واعتباراً خاصاً. يقول سيبويه في باب "الفاعل الذي يتعداه فعله إلى مفعول": إن قدمت المفعول وأخرت الفاعل، فإن اللفظ يسير وكان في التقديم، مثل قولك: "ضرب زيداً عبداً لله". لأنك في هذه الحالة لم تقصد تغيير المعنى عند تقديم المفعول، بل أردت أن تبين أولاً ما هو الأكثر أهمية في الجملة. وأن اللفظ العربي السليم يستدعي تقديم

ما هو أهم بياناً، ولو كانوا يقدمون ما يبرز معناه أكثر". (سيبويه، ١٩٨٨، ص ٣٤١).

وقد اهتم البلاغيون اهتماماً خاصاً لموضوع التقديم والتأخير بشكل واسع النطاق، وبشكل خاص قدموا اهتماماً خاصاً لتقديم المفعول، معلقين على آراء سيبويه والنحاة الذين جاءوا بعده. وقد اختلفوا في هذا الموضوع، حيث وقف البعض مؤيداً لآراء النحاة، في حين اعترض آخرون عليها. قال السكاكي: "إنَّ تقديم المفعول يكون للعناية به والتركيز على شأنه، نظراً لأنه يمثل هدف المتكلم الذي يزداد الاهتمام به. مثال ذلك عندما يقول الشخص المشغول بهجر حبيبه: "ما تتمنى؟"، فتكون الإجابة دون تردد: "وجه الحبيب أتمنى"، حيث يتم تقديم المفعول لأنَّه يحظى بحضور قوي في النفس، ولذلك لا يكون غريباً أن يتم النطق به أولاً". (السكاكي، ٢٠٠٠، ص ٣٤٢).

ذكر ابن القيم الجوزية أن غرض التقديم يهدف إلى إضافة زيادة في المعنى، وهو الحال في قول الله تعالى:

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، حيث إنَّ التقديم في هذه الآية يعزز المعنى ويُبرز القصد. ويمكن أن يكون التقديم مجرد وسيلة لإضافة معنى إضافي من دون تغيير جوهره.. (ابن القيم، د.ت، ص ١٢٣-١٢٤)، ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ أَغَيَّرَ اللَّهُ تَأْمُرُوْنِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ٦٤﴾ [الزمر: ٦٤]، ومن هنا يعني بفائدة التقديم الاختصاص.

وقد ورد في سورة هود شواهد عديدة على تقديم المفعول به على فعله وفاعله جوازاً ومنها:

- الآية الأولى:

قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَبْتَلُونَ صُدُورَهُمْ لَيْسَتَّخَفُوا مِنْهُ أَلَّا حِينَ يَسْتَعْتَسُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ٥﴾ [هود: ٥]

قُدِّم المفعول به "ما" على الجملة الفعلية "يسرّون" لإفادة الاختصاص؛ أي إنَّ الله عزَّ وجلَّ اختصَّ بالعلم بما انطوت عليه صدورهم من الشرك، والنفاق، والغلّ، والحسد، والبغض للنبي محمدٍ صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه.

(ابن حيان، ١٩٩٣، ص ٢٠٤١٥).

- الآية الثانية:

قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كُتِبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَٰئِكَ

يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ  
النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾

قُدِّمَ المفعول به، وهو الضمير الغائب المنصوب في الفعل "يتلوه"، على الفاعل المؤخر "شاهد"، والتقدير:  
"شاهد من ربه". والغرض من ذلك هو العناية والاهتمام، إذ إن الشاهد للقرآن هو الكتاب الذي تحدّى  
المعاندين بعجزهم عن الإتيان بعشر سورٍ مثله، مما جعله دليلاً قاطعاً على أنه من عند الله. (ابن عاشور، ١٩٨٤،  
ص ٢٨١٢).

- الآية الثالثة:

قوله تعالى: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ أَتْبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ  
أَرَادُوا بِادِّئِ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كُذِّبِينَ ﴿٢٧﴾ [هود: ٢٧]

فالمدافع من تقديم المفعول به "الكاف" في "أتبعك" على الفاعل "الذين" هو الاختصاص، فقد خصّ الملأ  
الجماعة التي أتبعته نوحاً عليه السلام بسفلة الناس، لأنهم أتبعوه من غير تفكير أو رؤية. (الجوزي، ٢٠٠٢،  
ص ٦٥٠).

- الآية الرابعة:

قوله تعالى: ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ  
تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣١﴾ [هود: ٣١]

قُدِّمَ المفعول به، وهو الضمير المتصل "الهاء" في "يؤتيهم"، على الفاعل "الله"، للعناية والاهتمام بأن  
الخير لا يُؤتى إلا من الله عز وجل، وأنه سيؤتيه هؤلاء الضعفاء الذين آمنوا بي، واحتقرتموهم لفقرهم.  
(الزمخشري، ١٩٩٨، ص ١٩٥١٣).

- الآية الخامسة:

قوله تعالى: ﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَآسَهِدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا  
شِركُونِ ﴿٥٤﴾ [هود: ٥٤].

قُدِّمَ المفعول به، وهو "الكاف"، في الفعل "اعتراك"، على الفاعل "بعض"، لإفادة الاختصاص، وهو  
خطاب موجّه إلى النبي هود عليه السلام من قومه، مفاده أن بعض آلهتهم قد مسّه بجنون بسبب سبه آياها.  
(الزجاج، ١٩٨٨، ص ٥٧١٣).

- الآية السادسة:

قوله تعالى: ﴿ قَالُوا يُصَلِّحْ فَدَكَ كُنْتُمْ فِينَا مَرْجُؤًا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهِنَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكِّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ ۖ ﴾ [هود: ٦٢]

الدافع من تقديم المفعول به "ما" على الجملة الفعلية "يعبد آباؤنا" هو الاهتمام والعناية بالهتهم، وهي الأصنام التي عبدها آباؤهم من قبل. (البغوي، ١٩٩٠، ص ١٨٥/١١٢).

- الآية السابعة:

قوله تعالى: ﴿ وَيَقَوْمٌ هُتِةً نَاقَةَ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ۖ ﴾ [هود: ٦٤]

إذ قدم المفعول به "الكاف" في "يأخذكم" على الفاعل "عذاب"، للعناية والاهتمام بأمر الله - عز وجل - بعدم عقر الناقة، فإن خالفتم أمر الله، فسوف يصيبكم عذاب عاجل لا يتأخر عنكم. (الصابوني، ١٩٨١، ص ٢٣١/١١٢).

- الآية الثامنة:

قوله تعالى: ﴿ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَرِهِمْ جُثُمِينَ ۖ ﴾ [هود: ٦٧]

نزلت هذه الآية الكريمة عندما أنجى الله تعالى صالحًا والمؤمنين، وأراد إهلاك الكفار، فأخذ الذين ظلموا الصيحة، وهي الصوت العظيم من الحيوان. ولكن ما يهمننا هنا هو معرفة السبب وراء تقديم المفعول به "الذين" على الفاعل "الصيحة". فالدافع هو الاهتمام؛ إذ ذكر الله الظلم من دون الكفر ليُعلم أن الكفر ظلم للنفس، إذ يصير إلى أعظم الضرر بعذاب الأبد. (الطوسي، د.ت، ص ٢٢١/١١٢).

- الآية التاسعة:

قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجْدِلْنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ۖ ﴾ [هود: ٧٤]

الدافع من تقديم المفعول به، وهو الضمير الغائب "الهاء"، في الفعل "جاءته" على الفاعل "البشرى"، هو الاهتمام بالبشرى، إذ أخبر الله تعالى إبراهيم - حين ذهب عنه الخوف الذي أوجس في نفسه واطمأن قلبه لضيوفه حين علم أنهم ملائكة - بالبشرى بالولد. (الصابوني، ١٩٨١، ص ٢٦١/١١٢).

- الآية العاشرة:

قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقِّ وَمَوْعِظَةٌ  
وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: ١٢٠]

تم تقديم المفعول به "كُلًّا" على الجملة الفعلية من أجل التركيز على القصص التي ذُكرت عن جميع الأنبياء، والتي كانت تهدف في المقام الأول إلى تثبيت قلب النبي صلى الله عليه وآله وسلم. ("عبد العظيم، ٢٠٠٥، ص ٤٢٩).

## الخاتمة

بعد هذا البحث في دلالة التقديم والتأخير في السياق القرآني، مع سورة هود أنموذجاً، يتضح أن هذا الأسلوب البلاغي لم يُستخدم اعتباطاً، بل جاء محكماً ومقصوداً لتحقيق أغراض دلالية وبلاغية عميقة. فقد أظهرنا من خلال الأمثلة المدروسة أن تقديم الخبر على المبتدأ، وتقديم المفعول به على فعله وفاعله، يميلان دلالات متعددة، منها التوكيد، والتخصيص، والخصر، والعناية بالمتقدم، مما يساهم في توجيه المعنى وإبراز أهميته في السياق.

وأظهرت الدراسة كيف أن التقديم والتأخير ليس مجرد ظاهرة نحوية، بل هو عنصر جوهري في النسيج البياني للقرآن الكريم، يعكس إعجازه البلاغي، ويمنح النص قوة تأثيره المتميزة. ومن خلال تحليل سورة هود، تبين أن هذا الأسلوب يساهم في تعميق المعاني وتوجيه الخطاب وفقاً للمقاصد الإلهية، سواء في مجال العقيدة، أو التشريع، أو الوعد والوعيد.

وفي الختام، يمكن القول إن دراسة التقديم والتأخير في القرآن الكريم تفتح آفاقاً واسعة أمام الباحثين، إذ يمكن التوسع في تحليل هذه الظاهرة في سور أخرى، أو مقارنتها باستخداماتها في النصوص الأدبية المختلفة. وهذا يبرز أهمية علم البلاغة والتفسير اللغوي في فهم النص القرآني واستنباط دلالاته المتعددة.

## المصادر والمراجع

- 0 القرآن الكريم.
- 0 بن حيان، م. (١٩٩٣). البحر المحيط. لبنان: دار الكتب العلمية.
- 0 الزركشي، ب. (د.ت). البرهان في علوم القرآن. القاهرة: مكتبة دار التراث.
- 0 فضل، ح. (١٩٩٧). البلاغة فنونها وأفنانها. إربد: دار الفرقان.
- 0 عبد المطلب، م. (١٩٩٤). البلاغة والأسلوبية. الجيزة: الشركة المصرية العالمية.
- 0 الطوسي، م. (د.ت). التبيان في علوم القرآن. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- 0 ابن عاشور، م. (١٩٨٤). التحرير والتنوير. تونس: الدار التونسية.
- 0 البغوي، م. (١٩٩٠). تفسير البغوي (معالم التنزيل). السعودية: دار طيبة.
- 0 النسفي، م. (١٩٩٨). تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل). بيروت: دار الكلم الطيب.
- 0 القرطبي، م. (٢٠٠٦). الجامع لأحكام القرآن. بيروت: مؤسسة الرسالة.
- 0 الجرجاني، ع. (د.ت). دلائل الإعجاز. جدة: دار النشر المدني.
- 0 عبد العظيم، م. (٢٠٠٥). دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم " دراسة تحليلية  
القاهرة: مكتبة وهبة."
- 0 الجوزي، م. (٢٠٠٢). زاد المسير في علم التفسير. بيروت: دار ابن حزم.
- 0 ابن عقيل، ب. (١٩٨٥). شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك. بيروت: دار الفكر.
- 0 ابن هشام، ع. (٢٠٠١). شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب. بيروت: دار إحياء التراث  
العربي.
- 0 الصابوني، م. (١٩٨١). صفوة التفاسير. بيروت: دار القرآن الكريم.
- 0 عبد العزيز، ع. (١٩٨٥). بيروت: دار النهضة العربية.

- 0 الجوزية، م. (د.ت). الفوائد المشوقة إلى علوم القرآن وعلم البيان. بيروت: مكتبة الهلال.
- 0 خليل، ع. (١٩٨٤). في نحو اللغة وتراكيبها " منهج وتطبيق ". جدة: عالم المعرفة.
- 0 سيويه، ع. (١٩٨٨). الكتاب. القاهرة: مكتبة الخانجي.
- 0 الزمخشري، ع. (١٩٩٨). الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأفاويل في وجوه التأويل. الرياض: مكتبة العبيكان.
- 0 حسان، ت. (١٩٩٤). اللغة العربية معناها ومبناها. المغرب: الدار البيضاء.
- 0 ضياء الدين، م. (د.ت). المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. مصر: مطبعة الباني الحلبي .
- 0 الطبرسي، ح. (٢٠٠٦). مجمع البيان في تفسير القرآن. بيروت: دار المرتضى.
- 0 الزجاج، س. (١٩٨٨). معاني القرآن وإعرابه. بيروت: عالم الكتب.
- 0 السكاكي، ع. (٢٠٠٠). مفتاح العلوم. بيروت: دار الكتب العلمية.

## **The significance of advancement and delay in the Quranic context, Surah Hud as a model**

**Amina. B.Kareem**

**ThiQar Education Directorate \ Iraq-ThiQar**

### **Abstract**

This paper deals with the study of anmber of grammatical issues which is indicative study After doing submit the case by linking ancient and modem of grammarians and Albulageyen Views, Then make abalance between those openions to figuieout clear explanations. Likewise, in the verse: “So be upright toward Him and ask His forgiveness” (Hud: 112) , “to Him” was mentioned before “and ask His forgiveness” to indicate the priority of uprightness over seeking forgiveness, since faith is not upright without obedience

Several grammatical issues have been examined from a semantic perspective, beginning with a presentation of each issue in light of the views of both classical and contemporary grammarians and rhetoricians, followed by a comparative analysis of those views to arrive at a clear and coherent interpretation. The research included two sections preceded by an introduction and followed by a conclusion. The first section was entitled: Presenting the Predicate, while the second section was entitled: Presenting the Object, and presented the sources. The research ended with a conclusion that summarized the most important findings of the research.

This paper includes two sections preceded by foreword followed by conclusion, The first section entitled: presenting proceeding, The second section entitled: presenting object. The search is over Balkhatmh which summarized the key findings of the research.

**Keywords** submission-Delay-sigificance-HollyQuran